الجنود والبوابات... حديث له وقعه في السلك التعليمي المدرسي

كتب : عبد الكريم دلبح

يخوض الطلبة والمعلمون في أرجاء الوطن المحاصر والمستباح على مدار ثلاثة أعوام دراسية متعاقبة صراعا مريرا مع إجراءات الاحتلال بألوان وأشكال مختلفة أسفرت عن سقوط شهداء وجرحى .. وتعطيل الدوام خلال ايام حظر التجوال والاجتياحات.. يمكن بلغة الإحصاءات ان توثق في سجلات الانتهاكات الإسرائيلية التي لا حدود لها. لكن ما يحدث للطلبة والمعلمين في القرى والبلدات التي حاصرها وعزلها الجدار الفاصل الذي اقامته إسرائيل في شمال الضفة الغربية وتواصل تكرار أمثاله في العديد من مناطق الوطن هو لون آخر من هذا الصراع الذي يخوضه الإنسان الفلسطيني تلميذا ومعلما كما مقاتلا ومزارعا.. رجلا وامرأة.

قد يبدو الأمر واقعا وعلى الطلبة والمعلمين التأقلم معه زمنا ومكانا وأسلوبا لكن اختراعات الجنود.. المستمدة من تعاليم الساسة.. الذين يفكرون بكل صغيرة وكبيرة تجعل من كل يوم رواية ولكل تلميذ ومعلم حكاية وقصة تشكل بمجموعها احد فصول تراجيديا التعليم خلف الأسلاك الشائكة.

الطفلان محمد وريم إحسان عوض ٩,٨ سنوات شقيقان من قرية جبارة اضطرا للعودة للمنزل بعد انتظار دام ساعتين مع أقرانهما من تلاميذ القرية الاثنين الماضي , لان جنود الاحتلال رفضوا فتح البوابة لدواعي أمنية في ذلك اليوم .. تحدثا «للبيدر» بأسى عن هذا الحرمان من الوصول للمدرسة دونما سبب.

لم يكن هذا اليوم الوحيد خلال سبعين يوما مضت منذ بدء العام الدراسي«الذي افتتح بتظاهرة من التلاميذ وأولياء الأمور على جانبي البوابة» فمثله كانت حسب محمد سبعة أيام أخرى منها ٣ بسبب الأعياد اليهودية وآخر بسبب ادعاء الجندي «صاحب المفتاح» بأنه فقده.. ويومين آخرين دونما سبب أيضا.

عن أيام الدوام المدرسي..لا يتذكر محمد وريم سوى صنوف من المشاهدات خلال الذهاب والعودة, جندي يشهر سلاحه في وجه تلميذ, آخر يفتش حقيبة تلميذه كانت حقيبتها منتفخة أكثر من اللازم بسبب هدية اشترتها لشقيقها الطفل في عيد ميلاده. محمد يلهو قرب البوابة وبين الصخور مع أقرانه بانتظار وصول باقي التلامذ وقدوم البواب المسلح » فيما تضطر ريم كما غيرها لحل الواجب المدرسي بين الصخور التي تسد الطريق نحو البيت الذي لا موعد محدداً للوصول إليه, حيث تنتظر الأمهات أمام العتبات أو فوق الأسطح تنتظر الابن العائد من بين الأسلاك الشائكة و الجنود.

في قرية جبارة الصغيرة جنوب طولكرم التي لا يتجاوز عدد سكانها ٤٠٠ نسمة والتي لا توجد فيها مدرسة والمعزولة بالجدار الفاصل يضطر ٨٨ طالبا وطالبة الذهاب الى مدارسهم في القرى المجاورة والعودة منها الانتظار والعبور عبر بوابة اقامتها قوات الاحتلال في ذلك الجدار المشؤوم.

وعند البوابتين الشبيهتين المقامتين على المدخلين الجنوبي والشرقي لبلدة باقة الشرقية شمال طولكرم المعزولة بالجدار الفاصل ايضا مع قريتي نزلة ابو نار ونزلة عيسى يخوض٦٤ معلما ومعلمة من خارجهما صراعا مريرا للوصول الى مدارسهم وابنائهم الطلبة في مدارس البلدة والى القريتين المجاورتين.

وفي أيام عديدة اضطرت المعلمات للعودة الى منزلهن لرفضهن الخضوع الى تفتيش مذل عند تلك البوابات الذي غالبا ما يخضع لمزاج مجندات جيش الاحتلال ، اللواتي يتعمدن التأخير، ويطلبن من المعلمات الصعود الى البرج المقام قرب البوابة للتفتيش

وعند الأولى «بوابة جبارة» التي يصلها التلاميذ الساعة السادسة والنصف صباحا يضطرون لانتظار قد يقصر او يطول وصول جيب عسكري لقوات الاحتلال ويرقبون ترجل الجنود المدججين بالسلاح الذي بدورهم يتفحصون وجوه التلاميذ وحقائبهم المنتفخة كتبا ودفاتر وساندويشات.

وبتلكؤ متعمد يتوجه بعضهم بالمفاتيح لفك اصفاد تلك البوابه الصفراء، ويتسلل الأطفال عبرها نحو سيارات اجرة تنتظرهم خلف الصخور الموضوعة على الشارع المؤدي للقرى المجاورة لتقلهم لمدارسهم.

يتكرر المشهد من الجهة المقابلة.. عندما يجتمع الاطفال العائدون من مدارسهم, الصغار يصلون قبل الثانية عشرة ظهرا لكنهم يضطرون لانتظار الكبار حتى الواحدة ظهرا قبل أن يعود الجنود ليكرروا المشهد الصباحي لا يكون حديث الطفل ولا سؤال الام او الحوار بين المعلمات عن اليوم الدراسي وانما عن الجنود والبوابات.

* يعيش ٢٠٠,٠٠٠ شخص في المناطق المحيطة بالجدار في شمال الضفة الغربية.
* حصار ١١,٥٥٠ شخصاً من ١٦ قرية بين الجدار والخط الأخضر.
* فصل ٣١٧٥ عائلة مكونة من ٢٠,٠٠٠ شخص تقريباً عن أراضيهم الزراعية

تنمية ع البساطة

حتى لو كان كل ما يلمع ذهبا

بقلم: وداد البرغوثي

فرحت كثيرا لهدية تلقيتها من صديقتي، فرحت أولا لانها من صديقة افترقنا منذ ربع قرن، لم تشأ لنا ظروف الشتات الفلسطيني أن نلتقي ونحن ننتمي لذات التراب، وفرحت لان الهدية عبارة عن صندوق خشبي جميل برسومات بذوق جميل، لكنني رغم فرحتي حرت في مسألة، لماذا يستخدم هذا الصندوق الجميل. سألت صديقتي فزادني جوابها حيرة، حين قالت يستخدم لحفظ المجوهرات. إذن لن استفيد من هذه الهدية أكثر من الاحتفاظ بها للذكرى أو للاحتفاظ بأشياء ليس لها قيمة المجوهرات ولا عجب في ذلك فأنا لا أقتني أي نوع من المجوهرات لسببين أولهما: مبدئي لان المجوهرات لا تعني بالنسبة لي اي معنى ايجابي، لارتباطه باشتراطات معينة بعد الزواج مثلا ولان اليهود كما اعلم هم أول من روج لقيمة الذهب لان أثرياءهم امتلكوا الكثير منه وهذا ما تؤكده بروتوكولات حكماء صهيون، والاهم من ذلك أنه لا يشكل قيمة ضرورية لحياة الإنسان إضافة إلى اثقال يد المرأة بالقيود، وتحويلها إلى سلعة تباع لمن يمتلك ثمنها.

اما السبب الثاني وهو انه برغم ما للذهب من سلبيات فانه يشكل عبئا اقتصاديا يثقل كاهل الازواج وقد يكون سببا في الحيلولة دون اتمام زيجات، بل سببا في فشلها خاصة حين يكون الذهب المشروط شراؤه فوق طاقة «العريس المسكين». أو على حساب عشرات الأشياء الاكثر اهمية وقيمة منه.

لكل ذلك ارتأيت أن احتفظ في صندوق الجميل «الأوقامول »، ليس الاكامول أو لوضع اقراص سبيرا المضاض للبعوض أو لاي شيء يمثل اهمية في حياة الانسان.

قد يرى البعض في الامر مثالية، لكنها في واقع الحال لاهذه ولا تلك، بل هي وجهة نظر في موضوع ارى انه يشكل عائقا في طريق العملية التنموية الاسرية، كيف لا وانا ارى من يكدسون الذهب سواء كان تكديسهم له نابعاً من يسر حال، او كان مرد ذلك رضوخاً لضغط عادات وتقاليد لاتسمن ولا تغني من جوع، انما يشكل الذهب مظهراً استعراضياً يستعرضون فيه ثراءهم الحقيقي أو يخفون به فقرهم الظاهر، في كافة الاحوال لايستفيدون منه شيئاً اي ان أموالهم تبقى مجمدة على شكل حلي وخواتم وعقود وأقراط وغير ذلك، مع انه كان يمكن لهذه المبالغ ان تستثمر في مشاريع قد تدر ربحاً أو ربما يبقى من هذه المجوهرات ديناً ينبغي تسديده للدائنين، تنؤ به الاسرة بثقل هذا الدين فيما يقبع الذهب في خزانة لايستفيد صاحبه شيئاً الا الخوف عليه من اللصوص.

واذا رضخ اصحابه يوماً تحت ضغط الظروف الاقتصادية وقرروا بيع الذهب، فانهم يكتشفون ان ثمنه يتراجع الى ثلثي اونصف المبلغ الذي دفعوه، رغم ان سعر كل شيء آخذ في الارتفاع الا ان سعر الذهب حين يريد اصحابه بيعه يتناقص، هذا اذا لم يكتشفوا انه كان مغشوشاً، وما اكثر الغش. أو ليست السرقات التي كانت تجري على كوابل التلفونات كانت من أجل الغش في الذهب.

الرغبة الحقيقية في التنمية ينبغي ان ترافقها او ان تنبع من رغبة حقيقية في التخلص من المظاهر الكاذبة والخادعة، والتخلي عن الانحناء «بخشوع» أمام «قدسية» مثل هذه العادات، وأن لاينخدع الانسان بأي لمعان حتى لو كان كل مايلمع ذهباً.

للمراسلة

نهتم كثيراً بآرائكم

شاركونا ملاحظاتكم ومقالاتكم على عنواننا التالي:
برنامج دراسات التنمية - جامعة بير زيت - ص.ب ١٨٧٨ رام الله
تلفون: ٢٩٥٩٢٥٠ - ٢ (٩٧٢) فاكس: ٢٩٥٨١١٧-٢(٩٧٢)
البريد الإلكتروني: dsp@birzeit.edu الصفحة الإلكترونية: http:\\home.birzeit.edu/dsp

للمراسلة

البيدر
رئيس التحرير: د. نادر سعيد
سكرتير التحرير: جبريل حجة
بدعم مالي من المعهد الجمهوري الدولي
WITH SUPPORT FROM THE INTERNATIONAL REPUBLICAN INSTITUTE.
مطابع الأيام ٢٩٨٧٣٤١/٤ فلسطين - رام الله